كلمة الحياة

آب/ أغسطس 2022

"يا ربّ، كم مَرَّةً يَخْطَأُ إِلَيَّ أَخي وَأَغفِرَ لَه؟ أَسَبعَ مَرَّات؟" (متّى 18، 21)

إنّ الفصل الثامن عشر من إنجيل متّى غنيّ جدًّا، ففيه يُعطي يسوع إرشاداتِه إلى تلاميذه حول طريقةِ عيش العلاقات داخل الجماعة الناشئة. وهذا السؤال الذي طرحَه بطرس يستعيد ما قاله يسوع قبل ذلك بقليل: "إذا خَطِئَ أَخوكَ..."[1]. كان يسوع يتكلّم، فقاطعه بطرس إذ ربّما أدرك أنّه لم يفهم جيّدًا ما قاله يسوع. وطرح عليه سؤالًا هو من بين الأسئلة الأكثر أهمّيّةً بالنسبة إلى المسيرة التي على تلميذ يسوع أن يقوم بها. كم مرّةً علينا أن نسامح؟

"يا ربّ، كم مَرَّةً يَخْطَأُ إِلَيَّ أَخي وَأَغفِرَ لَه؟ أَسَبعَ مَرَّات؟"

يشكّل التساؤل جزءًا من مسيرة الإيمان. صحيح أنّ مَن يؤمن لا يحظى بكلّ الأجوبة، لكنّه يبقى أمينًا على الرغم من التساؤلات. فسؤال بطرس لا يتعلّق بالخطيئة تجاه الله، وإنّما بما يجب فعلُه عندما يُخطِئ الأخ إلى أخيه. يعتقد بطرس أنّه تلميذ جيّد يستطيع أن يسامح حتّى سبع مرّات[2]. لم يتوقّع جواب يسوع الفوريّ الذي يزعزع ضماناته: "لا أَقولُ لكَ: سَبعَ مرَّات، بل سَبعينَ مَرَّةً سَبعَ مَرَّات" (آية 22). كان التلاميذ يعرفون جيّدًا كلام لامَك، ابن قايين، المتعطِّش للدماء، الذي يعلن انتقامًا يتكرّر حتّى سبعٍ وسبعين مرّة[3]. إلّا أنّ يسوع، في إشارة إلى هذا التأكيد، يضع مقابل الانتقام غير المحدود، المسامحة اللامتناهية.

"يا ربّ، كم مَرَّةً يَخْطَأُ إِلَيَّ أَخي وَأَغفِرَ لَه؟ أَسَبعَ مَرَّات؟"

لا يتعلّق الأمر بمسامحة شخص يُخطئ باستمرار، بل بالمسامحة بشكل متكرّر، في قلبنا. فالمسامحة الحقيقيّة التي تجعلنا أحرارًا تتحقّق عامّةً بشكل تدريجيّ. هي ليست شعورًا، وليست نسيانًا؛ إنّها الخيار الذي على المؤمن أن يتّخذَه، ليس عندما تتكرّر الإساءة فحسب، بل في كلّ مرّة تخطر في ذهنه أيضًا. لهذا السبب يجب أن نسامح سبعين مرّة سبع مرّات.

---

[1] متّى 18، 15.

[2] الرقم سبعة يشير إلى الكلّيّة والاكتمال: خلق الله العالم في سبعة أيّام (تكوين 1. 2). وفي مصر، تجيء سبع سنين فيها شَبَعٌ عظيمٌ تليها سبعُ سنينَ جوع (تك 41، 29-30).

[3] "إِنَّه يُنتَقَمُ لِقايِنَ سَبعَةَ أَضعاف وأَمَّا لِلامَكَ فسَبْعَةً وسَبْعين" (تكوين 4، 24).

كتبَت كيارا لوبيك في هذا الخصوص: "كان يسوع [...] يستهدف في جوابه قبل كلّ شيء العلاقات بين المسيحيّين، بين أعضاء الجماعة الواحدة. فعليك إذًا التصرُّف بهذه الطريقة أوّلًا مع إخوتك في الإيمان: في العائلة، في العمل، في المدرسة، في جماعتك إن كنت تعيش ضمن جماعة. إنّك تعلم كيف أنّنا غالبًا ما نريد التعويض، من خلال عمل أو كلمة مقابلة، عن الإساءة التي تعرّضنا لها. إنّك تعلم كم هي عديدة المرّات التي تنقص فيها المحبّة بين الأشخاص الذين يعيشون معًا، وذلك بسبب اختلاف الأطباع أو بسبب العصبيّة، أو لأسباب أخرى. تذكّر إذًا أنّ موقف المسامحة وَحدَه، المتجدّد دائمًا، يمكنه أن يحفظ السلام والوحدة بين الإخوة. سوف تميل دومًا إلى التفكير بنقائص إخوتك، وتَذَكُّر ماضيهم، وإلى الرغبة بأن يكونوا على غير ما هم عليه... اسعَ إلى أن تعتاد رؤيَتَهم بعين جديدة، وأن تراهم جددًا، وتقبَلَهم دائمًا، وحالًا، وبشكل كامل، حتّى لو لم يتوبوا"[4].

"يا ربّ، كم مَرَّةً يَخْطَأُ إِلَيَّ أَخي وَأَغفِرَ لَه؟ أَسَبعَ مَرَّات؟"

نحن جميعًا أعضاءٌ في جماعة "المُسامَحين"، لأنّ المسامحة عطيّة من الله نحتاج دومًا إليها. نحن مدعوّون إلى أن نكون باستمرار في حالة اندهاش أمام عظمة الرحمة التي نتلقّاها من الآب، فهو يغفر لنا إذا غفرنا نحن أيضًا إلى الإخوة[5].

هناك حالات تصعب فيها المسامحة، هي ظروف تعود لأسباب سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة، قد تأخذ فيها المسامحة بُعدًا جماعيًّا. فكثيرة هي الأمثلة عن نساء ورجال استطاعوا أن يسامحوا حتّى في الحالات الأشدّ قساوة، وذلك بمساعدة الجماعة التي ساندَتهم.

أوسفالدو مزارع كولومبيّ تعرّض للتهديد بالموت ورأى أخاه يُقتَل. هو اليوم يترأّس جمعيّة مزارعين تعمل على إعادة دمج أشخاص عاشوا بشكل مباشر الصراع المسلّح في بلده.

"كان من السهل أن أرُدَّ على الانتقام بعمل عنف آخَر، ولكنّني قلت لا"، شرح أوسفالدو. "إنّ تعلّم فنّ المسامحة صعب جدًّا جدًّا، لكنّ الأسلحة أو الحرب ليسا أبدًا خيارًا لتحوّل الحياة وتغييرها. فطريق التحوّل هي طريق أخرى، وهي أن تلمس روح الشخص الآخر. ولكي تقوم بذلك لا تحتاج إلى التكبّر ولا لأيّ نفوذ، بل تحتاج إلى التواضع، وبناء هذه الفضيلة هو الأصعب".

ليتيتسيا ماغري *Letizia Magri*

---

[4] كيارا لوبيك، كلمة حياة شهر تشرين الأوّل/ أكتوبر 1981.

[5] راجع صلاة الأبانا، متّى 6، 9-13.